

الوقفيات كمصدر تاريخي: وقفية المدرسة التنكزية في القدس كدراسة حالة

د. محسن يوسف:

جامعة بيرزيت، فلسطين

كلمات مفتاحية

وقف، وقفيات، المدرسة التنكزية، تنكز، خان تنكز، مدارس القدس، قرية عين قينية، ضيعة عين قنية، رباط الصوفية، رباط النساء، سوق القطانين، الطهارة، اصطبلات الداوية، قناة العروب، قناة الوسخ، الدرهم.

ملخص

حاولتُ في هذه الدراسة فحص أهمية الوقفيات بشكل عام كمصدر تاريخي وذلك عن طريق دراسة وقفية المدرسة التنكزية في مدينة القدس، كدراسة حالة. لقد زودتنا هذه الوقفية بمعلومات تفصيلية كثيرة جداً في مجالات تاريخية عديدة وعلى وجه الخصوص في مجالات التاريخ المعماري وتاريخ المدن والتاريخ الجغرافي والتاريخ الاقتصادي والتاريخ الديني والتاريخ الاجتماعي وفي مجال فقه اللغة العربية وغيرها من المجالات. وبشكل تفصيلي أكثر، فإن الدراسة اهتمت بالمؤسسات المكونة للمدرسة التنكزية في القدس والتي ضمت مدرسة للفقه ومدرسة للحديث ورباط للصوفيين ورباط للنساء ومسجد وطهارة وسبيل وبئر وحمامين وضيعة عين

قينية وخان تنكز في القدس وعدد من الدكاكين في سوق القطانين الذي بناه تنكز. واهتمت الدراسة أيضا بميزانية هذا الوقف وإدارته وبالنشاط البشري اليومي في مدينة القدس وفي قرية عين قينية. ومن خلال الحديث عن موضوع وقف المدرسة التنكزية ذكرت في الوقفية معلومات تاريخية مهمة جدا مثل قناة العروب وقناة الوسخ (قناة المجاري العادمة) وغيرها من معلومات. وخلافا للمصادر التاريخية الأخرى، فقد جاءت المعلومات الواردة في الوقفية دقيقة ولم تتأثر بمشاعر وتحيز كاتبها لأنها معلومات وصفية مجردة، تصف واقع الوقف والظروف في تلك الفترة. وما يزيد من أهمية المعلومات الواردة في الوقفية أنها غير مذكورة في مصادر تاريخية أخرى، الأمر الذي يجعلها عظيمة الأهمية بالنسبة للمؤرخين.

Key words:

Waqf, Tankiziyah, Tankiz, Ribat, Qattanin, Khan, Taharah, Dirham, Qanat al-‘Arrub, Sewage system in Jerusalem.

Summary

I attempted in this study to examine the importance of the *waqf* documents as a historical source by studying the *waqf* document of the *Tankiziyah* school in Jerusalem, as a case study. This document provided us with detailed information in many historical fields of study such as architectural history, urban history, geographical history, economic history, religious history, social history and in the field of Arabic philology. This study examined in more details the different institutions which made up the *Tankiziyah waqf* in Jerusalem

such as the *Fiqh* school, the *Hadith* school, the *Ribat* of the Sufis, the *Ribat* of the women, the mosque, the *Taharah*, the *Sabil*, the well, the two baths, the village of 'Ayn Qinyah, the **Khan** of Tankiz, and a number of shops in the *Qattanin* market in Jerusalem which was established by Tankiz. The study also dealt with the budget and the management of the *waqf*, and with the daily human activity in Jerusalem and in the village of 'Ayn Qinyah. The *Tankiziyah waqf* document indirectly also mentioned many important issues such as *al-'Arrub* Canal, the sewage system in Jerusalem and many other issues.

Unlike other historical sources, the information contained in the *waqf* documents is accurate and not affected by feelings and biases of the author because it is abstract and descriptive information describing the reality and the circumstances which existed during that period. In addition to that, the kind of information that we find in the *waqf* documents are rarely found in other historical sources, which makes these documents of great importance to historians.

المقدمة

تعتبر الوقفيات من أهم المصادر الأولية التاريخية وذلك لسببين رئيسيين: السبب الأول أنها تحتوي على معلومات تفصيلية في نواح عديدة جدا قلما وجدت في مصادر تاريخية أخرى. والسبب الثاني أن الوقفيات تحتوي في أغلبها، إن لم يكن جميعها، على حقائق تاريخية صماء خالية من المبالغات والتزييف ووجهات النظر.

تتكون جميع الوقفيات من ثلاث بنود رئيسية ومن بنود أخرى فرعية أو أقل أهمية. والبنود الرئيسية تتحدث عن: الواقف، والوقف والموقوف عليهم، أي الجهات المستفيدة من الوقف. بالنسبة

للمعلومات المتعلقة بالواقف فإن الوقفيات كثيرا ما تتبالغ بأهميته وعلو شأنه وتبالغ في ذكر أعماله الخيرية وتدعي بأنه يبجل العلماء ويلتزم بالشرع الإسلامي بشكل شديد وما إلى ذلك من مديح، وعليه يجب على الباحث أن يتعامل مع معلومات هذا الجزء من الوقفية بحذر. ولكن وفي نفس الوقت فإن الباحث يجد حتى في هذا الجزء من الوقفيات معلومات قيمة جدا عن الواقف وفي بعض الحالات غير متوفرة في مصادر تاريخية أخرى، وعليه فإن هذا البند أيضا يعتبر مهم جدا. أما بالنسبة للبند الأخرى من الوقفيات، وهي الجزء الأساسي والأهم، فإن جميعها تحتوي على حقائق تاريخية صماء خالية كليا من التزييف والزيادة والنقصان والمبالغة ووجهات النظر، والسبب في ذلك أنها معلومات وصفية تصف الواقع في لحظة وقوف الوقف. وما يزيد من أهمية هذه المعلومات أنها معلومات تفصيلية وفي مجملها غير متوفرة في المصادر التاريخية الأخرى، الأمر الذي يجعلها فريدة وعظيمة الأهمية بالنسبة للمؤرخين.

يهدف البحث الحالي إلى التعرف على المعلومات التاريخية التي بالإمكان استخلاصها من الوقفيات، وذلك عن طريق دراسة حالة وقفية المدرسة التنكزية في مدينة القدس. فالمعلومات التي تحتويها هذه الوقفية تتشابه بشكل كبير جدا بالمعلومات الواردة بغالبية، إن لم يكن جميع، الوقفيات الأخرى.

يركز البحث الحالي على البنود الرئيسية الثلاث التي تتكون منها وقفية المدرسة التنكزية وهي: الواقف والوقف والموقوف عليهم. وفي هذا الإطار سيتم معالجة هذه الموضوعات بشكل

تفصيلي نسبيا لتكون مثالا لما تحتويه الوقفيات من معلومات ذات قيمة عالية. إلى جانب ذلك فإن البحث سوف لن يهمل كليا البنود والمعلومات الأخرى التي نجدها في الوقفية والتي ذكرت في سياق الحديث عن البنود الرئيسية الثلاث. وهذه المعلومات كثيرة جدا وفي حالات كثيرة تكون نادرة أيضا.

الوقفية التي تم الاعتماد عليها في هذه الدراسة هي الوقفية التي نشرها د. كامل جميل العسلي في كتاب وثائق مقدسية تاريخية في المجلد الأول والذي صدر في عمان عام 1983. ص 105 - 124¹. وقد وجد الدكتور العسلي هذه الوقفية مثبتة في السجل رقم 92، المؤرخ سنة 1020هـ/ 1611م من سجلات محكمة القدس الشرعية. وحسب ما يذكره العسلي فان الوقفية جاءت بهذا السجل بخمس صفحات كاملة (من ص 426 - 430) وعدد كلماتها حوالي 4700 كلمة.

وبما أن الدراسة تتمحور حول الوقفية نفسها (أي الوثيقة) وما تحتويه من معلومات فإن الجزء الأعظم من المعلومات المستخدمة في هذه الدراسة إما مأخوذ بشكل مباشر من الوثيقة وإما مبني على المعلومات الواردة بها. وبما أن الوثيقة نفسها (دون المقدمة والإحالات التي أعدها د. كامل العسلي) قد جاءت ب 14 صفحة فقط (ص 108-121) لم أجد ضرورة للتوثيق منها، إلا في حالات

¹ - كامل جميل العسلي. وثائق مقدسية تاريخية. عمان: مطبعة التوفيق. المجلد الأول.

الافتقادات المباشرة. أما بالنسبة للمعلومات المستقاة من خارج الوثيقة فإنه تم توثيقها بالشكل المطلوب.

الواقف

الواقف هو الأمير سيف الدين، ابو سعيد تَنكُز بن عبدالله الناصري، وفي بعض الحالات يكتب اسمه بالبدال أي دَنكُز وتعني البحر. لقد تحدثت المصادر بنوع من الاسهاب عن هذا الأمير وذلك لشهرته وكثرة أعماله وماله.

كان تنكز نائبا (واليا) للسلطان المملوكي في بلاد الشام وكان مركزه في مدينة دمشق. أما السلطان الذي عينه في هذا المنصب فهو الناصر محمد بن قلاوون وذلك أثناء سلطنته الثالثة والتي امتدت من سنة 712هـ/ 1312م وحتى 740/ 1340 . وقد امتدت نيابة تنكز من سنة 712/ 1312 وحتى سنة 740/ 1339، أي انها استمرت حوالي 28 سنة².

كان تنكز قبل وأثناء تعيينه في النيابة قائدا عسكريا فذا حتى أنه قلما خسر معركة من المعارك التي قادها أو شارك بها. كما أن ولاءه لسلطانه كان مطلقا لذلك خصه السلطان بثقته الكاملة حتى أنه أنعم عليه باللقاب لم يُلقب بها نائب للسلطنة في بلاد الشام لا قبله ولا بعده. وكان السلطان كثيرا ما يستشيريه في أمور الدولة، وفي غالب الأحيان كان يقبل بمشورته ونصحه. ومما يؤكد العلاقة القوية

²Michael Hamilton Burgoyne. **Mamluk Jerusalem: an Architectural Study**. Great Britain: British School of Archaeology in Jerusalem, 1987. Pp. 223 - 224

بين الاثنين أن السلطان رفعه درجة أعلى من كل نواب بلاد الشام وجعله مسؤولاً عنهم جميعاً بعد أن كانوا مستقلين عن نيابة دمشق. بكلمات أخرى كانت علاقة هؤلاء النواب مع السلطان المملوكي في مصر قبل فترة تنكز، مباشرة مع السلطان وليس بواسطة نائب دمشق، وبعد تنصيب تنكز وتوثيق العلاقة بينه وبين السلطان رفعه السلطان درجة أعلى من باقي نواب دمشق وأمر بأن تكون جميع مراسلاتهم مع السلطان عبر تنكز. كما أن السلطان أغدق عليه العطايا والهبات والجوائز مما جعله فاحش الثراء حتى قيل أن ثروته بلغت 15 مليون درهم من الفضة، وهو مبلغ هائل في مقاييس ذلك العصر³. إضافة إلى ذلك فإن الاثنين قد ربطا نفسيهما مع بعضهما البعض برباط المصاهرة حيث تزوج السلطان قلاوون ابنة تنكز وزوج ابنتيه إلى أبناء تنكز.

وعند ذكر خصال تنكز فقد أطنبت جميع المصادر في مدحه ووصفته بأنه كان حاكماً عادلاً وأن سيرته كانت حسنة ولم يكن له غرض، حسب ما ذكرت المصادر سوى إحقاق الحق والعمل به ونصرة الشرع. وعلى ما يظهر أن تنكز قد اهتم بشكل كبير جداً بترسيخ الأمن والأمان في نيابته حتى أنه لم يجرؤ أحد على ظلم أي مواطن في نيابته حتى ولو كان غير مسلم. ومن جملة أعماله التي تحسب له كثرة أعماله العمرانية مثل بناء أسوار المدن والقلاع مثل قلعة جعبر وسور بيروت، وبنى الجسور مثل جسر الدامور في لبنان،

³ علي السيد علي. "كلية تنكز المقدسية في العصر المملوكي 648 - 1250/923 - 1517". مجلة التريية. الدوحة: عدد 176 السنة 40 سبتمبر 2011. ص 223 - 246. ص 226.

وأُنشأ العديد من الخانات والحمامات في القدس ودمشق وغيرها من المدن، وجدد القنوات ووسع الطرقات ورصفها بالبلاط في دمشق وغيرها⁴.

وفيما يتعلق بالأوقاف، فقد نالت الأوقاف منه اهتماما عظيما حتى يقال بأنه أنشأ أو رمم أكثر من 40 منشأة لوجه الله. فقد ذكر «أنه تتبع المدارس والمساجد والأوقاف فعمرها جميعا ومنع مستحقيها من تناول ريعها حتى كملت عمارتها. وجدد عدة أماكن قد دثرت أوقافها، وأعاد فيها وظائف العبادات ... وجدد عمارة الجامع الأموي وعمر أوقافه»، ورمم قناة العروب وبنى البركة الرخامية المعروفة بالكأس الواقعة بين المسجد الأقصى وقبة الصخرة⁵. وبالنسبة للأوقاف التي أوقفها هو فقد توزعت على عدد كبير من المدن مثل القدس وصفد التي بنى بها مارستان وخان، وبنى جامع في نابلس وآخر في عجلون. أما دمشق فقد نالت نصيب الأسد من أوقافه بل يظهر بأن أوقافه في دمشق فاقت أوقافه في مدينة القدس.

4- المصدر السابق. ص 227

⁵ اكتمال اسماعيل. "الأوقاف التنكزية في دمشق" في كتاب الأوقاف في بلاد الشام منذ الفتح العربي الاسلامي الى نهاية القرن العشرين. تحرير محمد عدنان البخيت. عمان: المؤتمر الدولي السابع لتاريخ بلاد الشام 17 - 21 شعبان 1427 ، 10 - 14 ، 9 ، 2006. المجلد الثاني القسم الأول سورية، 2009. ص 171؛ عبد الرحمن المغربي. "تاريخ المدرسة التنكزية في القدس 729-1432هـ / 1328 - 2011م. مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية. المجلد 20 العدد 2، سنة 2012. ص 481 - 528. ص 485 - 486.

ورغم كل ما ذكر أعلاه إلا أن المصادر تذكر بعض السلبيات في شخصيته حيث وصفته بأنه كان شديد البطش بالمدنبيين بشكل لا يتماشى مع الجرم الذي اقترفه او حتى لم يقترفه. وفي نهاية حياته ذاق تنكز نفسه مرارة البطش المبالغ فيه حين شك السلطان في ولاءه له فاعتقله في الاسكندرية لمدة تقل عن الشهر ومن ثم تم اعدامه بالسم عن عمر يناهز الستين سنة. ويقال أن سبب قتله وتصفيه ممتلكاته كان عدم قبوله شفاعة السلطان في أحد مماليكه (اي ممالك تنكز نفسه) والذي كان مسجوناً في الكرك، وقيل أيضاً أن سبب قتل السلطان له تدخله بحياة السلطان الخاصة، هذا اضافة الى أنه يقال بأن الوشاة قد نجحوا بإقناع السلطان بأن تنكز أنشأ قلعة جعبر تمهيدا لإعلان التمرد عليه⁶.

الوقف

أنشأ الأمير تنكز وقف المدرسة التنكزية في مدينة القدس عام 729هـ/1329م. والمدرسة، أي المبنى الرئيسي التابع للوقف، ما زالت موجودة حتى اليوم وهي في حالة جيدة نسبياً، وما زال المبنى يعتبر من أهم وأتقن وأجمل المباني المملوكية في المدينة. ورغم أن الواقف أوقف هذا المبنى ليكون مؤسسة تعليمية إلا أن استخدامات المبنى قد تغيرت من وقت لآخر. فعندما زار السلطان فرج بن برقوق مدينة القدس عام 815هـ/1414م اتخذ المدرسة سكناً له. وفي أواخر القرن 9 / 15 تحول المبنى إلى محكمة ومكان سكن

⁶ اسماعيل ص 173 - 174.

للقضاة. وفي تاريخ لاحق، وعلى وجه الخصوص في القرنين 10-11هـ/16-17م، أعيد استخدام المبنى ليصبح مؤسسة تعليمية من جديد. بعد ذلك حوله العثمانيون مرة أخرى ليصبح محكمة وبقي كذلك حتى بداية فترة الانتداب البريطاني على فلسطين عام 1917، حتى أصبح المبنى يعرف باسم المحكمة الشرعية. وفي فترة الانتداب تحول البناء ليصبح بيت سكني يقطنه مفتى القدس ورئيس المجلس الإسلامي الأعلى الحاج أمين الحسيني، ولكن المفتي غادر المبنى ليتم استخدامه من جديد كمؤسسة تعليمية باسم مدرسة الأقصى الثانوية الشرعية في القدس⁷. وبعد سنتين من احتلال القوات الإسرائيلية لمدينة القدس، أي بتاريخ 24/6/1969، وضعت السلطات الإسرائيلية يدها على المبنى وحولته لثكنة عسكرية لقوات ما يعرف بـ«حرس الحدود» بحجة أن المبنى مشرف على الحرم القدسي وملائم لمراقبة تحركات المسلمين داخل الحرم⁸. وما زال المبنى يستخدم كثكنة عسكرية حتى اليوم.

لم يتوقف الاعتداء الإسرائيلي على المدرسة وعلى هذا الوقف عند هذا الحد بل انهم حفروا نفقا بمحاذاة السور الغربي للحرم القدسي الشريف يمر من تحت بيوت ومباني السكان الفلسطينيين وبضمن ذلك من تحت مبنى المدرسة التنكزية⁹. وبسبب وجود

⁷ - المغربي. ص 488

⁸ - علي. ص 237 ؛ المغربي. ص 510 - 511 ؛ Burgoyne p 228

⁹ - المغربي. ص 495

مساحة كبيرة في النفق الواقع تحت مبنى المدرسة أنشأت السلطات الإسرائيلية هناك كنيسا يهوديا ومتحفا يستخدم وسائل إيضاح متطورة ليعرض تاريخ الهيكل اليهودي وتاريخ مدينة القدس من وجهة نظرهم. وفي شهر آذار 2006 قام رئيس إسرائيل بافتتاح الكنيس. وفوق ذلك كله قامت قوات الاحتلال الإسرائيلية بتحويل مسجد المدرسة إلى كنيس تقام فيه الصلوات اليهودية من قبل الجنود، ومع ذلك طالب «إئتلاف منظمات من أجل الهيكل» السلطات الإسرائيلية بتحويله لكنيس يهودي بشكل رسمي وتسليمه لهم¹⁰ ولكن السلطات لم تستجب للطلب.

يعتبر وقف تنكز في القدس من أكبر وأهم الأوقاف في المدينة حيث احتوى على مؤسسات ومرافق عامة عديدة. فقد تكون هذا الوقف من: مدرسة (والتي ضمت في داخلها: مدرسة لتدريس الفقه ودار حديث ورباط للصوفية ومسجد) ورباط للنساء وطهارة وسبيل وضيعة عين قينية وحمامين. يمكن تقسيم هذه المؤسسات والمصالح العامة التي تكون منها الوقف إلى مجموعتين رئيسيتين: المجموعة الأولى هي المؤسسات المستفيدة من الوقف وهي المدرسة (أي المدرسة ودار الحديث ورباط الصوفية والمسجد) ورباط النساء والطهارة والسبيل. أما المجموعة الثانية فهي المرافق المنتجة للدخل والتي أوقفت على المدرسة لصرف دخلها على عمارة جميع أجزاء

¹⁰ - المغربي ص 511 - 517؛ القدومي في موقع aqsaonline.org وموقع safa.ps بتاريخ 2915 / 4 / 7 و 2015 / 4 / 8.

الوقف المذكورة في المجموعة الأولى، وقد ضمت هذه المجموعة المؤسسات التالية: ضيعة عين قينية والحمامين، وفي وقت لاحق أضيفت إليها مؤسسات أخرى مثل خان تنكز ودكاكين في سوق القطانين في القدس، وأوقاف أخرى في مناطق ومدن بعيدة مثل حمص وحلب¹¹.

1- المؤسسات المستفيدة من الوقف

لقد عددت الوقفية جميع مكونات الوقف وحددت حدود كل مؤسسة ومرفق من مرافقه ووصفتها وصفا دقيقا ومفصلا.

المدرسة

المدرسة هي الجزء الأساسي والمبنى الرئيسي للوقف. وكانت ملاصقة للصور الغربي للحرم القدسي الشريف. وكانت تقع بين حارة المغاربة في الجنوب وباب السلسلة في الشمال. ووجد بالمدرسة أربعة أواوين (قاعات) معقودة بالكلس والحجر. وقد جعل الوقف الإيوان القبلي (الجنوبي) مسجدا إلى جانب كونه قاعة تدريس. وكان في وسط المدرسة بركة ماء مثمرة الشكل يجري إليها الماء من قناة العروب. ووجد في المدرسة مطبخ وطهارة، وكانت الطهارة

¹¹ - عبد الجليل حسن عبد المهدي. المدارس في بيت المقدس في العصرين الأيوبي والملوكي: دورهما في الحركة الفكرية. عمان: مكتبة الأفصى، 1981. الجزء الثاني، ص 32؛ حمد أحمد عبد الله يوسف. من آثارنا العربية الإسلامية في بيت المقدس. بيت المقدس: مؤسسة إحياء التراث والبحوث الإسلامية، 2000. الجزء الثاني ص 142 - 144

تحتوي على خمس بيوت (غرف) من الحجر أحدها مستحم (حمام)، وفي كل غرفة كان جرن حجر يجري إليه الماء من قناة العروب. وتذكر الوقفية أن حائط المدرسة القبلي كان مبنيًا على أقبية (أروقة) رومية (المقصود صليبية) تعرف باصطبلات (اسطبلات) الداوية. وتحت الجانب الشرقي قبو ضخمة قديم. وكان في القبو بئر لجمع مياه الأمطار للاستفادة منها عند انقطاع مياه قناة العروب أو عند الحاجة.

كان في المدرسة 22 بيت (غرفة). في الطابق السفلي كان 11 غرفة مخصصة لطلاب الفقه والحديث. وكانت هناك غرفة مخصصة للبواب. وكان في الطابق العلوي بيوت للصوفيين. وكان على ظهر بوابة المدرسة طبقة ثالثة بها منافع ومرافق ومراقد. وكان للمدرسة مرتفق (حمام، أي بيت خارج) خاص على ظهر غرفتين من غرف الطبقة العليا¹².

وكان هناك قناة لتصريف المياه العادمة والأوساخ أنشأها الواقف للمدرسة، أطلقوا عليها اسم «قناة الوسخ».

رباط النساء

لم يكن رباط النساء جزءًا أو ملاصقًا للجزء الأساسي من الوقف، أي المدرسة، بل كان منفردًا عنه ولكنه كان قريبًا جدًا منه حيث أنه كان يقع في الجهة المقابلة للمدرسة، وكان شارع السلسلة المؤدي إلى باب الحرم المعروف بباب السلسلة يفصل بينهما. وقد

¹² - المغربي ص 488 - 497؛ pp. 223 - 238 Burgoyne

خصص هذا الرباط لإقامة النساء. وكان يغلق عليه باب خاص به¹³.

الطهارة

الطهارة أي المتوضأ، وكان لها باب خاص، وكانت تشتمل على 7 غرف. أحدها مستحم وبها حوض حجر وفي كل غرفة كان جرن حجر يجري إليه الماء من قناة العروب. فائض مياه هذه الطهارة وأخبائها كانت تجري في قناة الوسخ.

السبيل

أنشأ هذا السبيل نفس الواقف أي الأمير تنكز في نفس منطقة المدرسة، وقد جعله الواقف مسبلاً لجميع السكان.

البئر

انه من غير الواضح فيما اذا اشتمل وقف التنكزية على بئرين أم بئر واحد، لأن الوقفية تتحدث عن بئر تخزن به المياه الفائضة من قناة العروب، وفي مكان آخر تتحدث عن بئر تتجمع به مياه الأمطار. والمرجح أنه كان هناك بئر واحد فقط تخزن به مياه الأمطار والمياه الزائدة من قناة العروب. وكان هذا البئر، الذي يقع في الأروقة الشرقية المقامة عليها المدرسة، واسع جداً بلغ «طوله خمسة وأربعون ذراعاً بالذراع القاسمي وعرضه تسعة عشرة ذراعاً بالذراع المذكور، ويستقي الناس الماء من هذا القبو من طاقة في بيت استجده

¹³ -Burgoyne pp. 240 -243

الواقف ... ملاصق لرباط النساء» أي في الجهة الثانية من الشارع¹⁴.

2- المرافق المنتجة للدخل

ضيعة عين قينية

ضيعة عين قينية، هي قرية عين قينية الحالية الواقعة الى الغرب من مدينة رام الله، والتي كانت تتبع إداريا لمدينة القدس. فقد ذكرت الوقفية على أنها كانت «من عمل القدس»، وكانت جميعها وفقا تابعا للمدرسة التنكزية. وحسب الوقفية كان يحدها من القبلة (الجنوب) أراضي قرية نوبا وتما الحد أراضي قرية كفرتيا، ومن الشرق أراضي قرية رام الله وتما الحد أراضي لدنا، ومن الشمال أراضي قرية دير بن شعبان وتما الحد أراضي قرية الرأس، ومن الغرب أراضي قرية دجانية وتما الحد أراضي قرية دير بزيع.

في الواقع أن أغلب القرى المذكورة في الوقفية غير موجودة الآن بهذه التسميات مثل قرى: نوبا وكفرتيا الواقعتين من الجهة الجنوبية، وقرية لدنا الواقعة في الجهة الشرقية، وقرى دير بن شعبان والرأس الواقعتين في الجهة الشمالية، وقرية دجانية الواقعة في الجهة الغربية. القرى الوحيدة التي ذكرت والتي ما زالت تحمل نفس المسمى والتي ما زالت موجودة حتى اليوم هي قرية (مدينة) رام الله وقرية دير بزيع¹⁵.

¹⁴ - الوقفية. ص 110 - 111

¹⁵ - بالنسبة للقرى المحيطة بضيعة عين قينية فالمعلومات التي ذكرت في النص أعلاه توحي لنا بأن تلك القرى قد اندثرت أو أنها اندثرت وأعيد بناؤها بأسماء جديدة،

ولكن ربما يكون هناك تفسير آخر. حسب رأيي إن جميع هذه القرى ما زالت قائمة حتى اليوم وما زالت تحمل تقريبا نفس الأسماء، إلا أن الدكتور كامل العسلي الذي نشر الوقفية صحّف أو أساء قراءة خط اليد الذي كتبت به الوقفية أو تم تشويهه كتابة الاسم عند نسخ الوقفية في سجلات المحكمة الشرعية. فعلى سبيل المثال فإن قرية "دجانية" المذكورة بالوقفية لا شك أنها قرية "الجانية" الحالية، الواقعة فعلا غرب عين قينية. في اعتقادي أنه من السهل جدا أن يلتبس على قارئ خط اليد اسم الجانية ويقرأه على شكل دجانية. وبالنسبة لقرية الرأس فلا شك أنها قرية "رأس كركر" الحالية، وأعتقد أن اسم لدنا هو تشويه في الكتابة أو القراءة لاسم سردا أو صردا التي تقع أراضيها في الجهة الشمالية الشرقية من أراضي عين قينية. وبالنسبة لقرية نوبا فعلى ما يظهر أنها قراءة غير دقيقة ل- بيتونيا. وبالنسبة لقرية "كفرتيا" ربما تكون أيضا قراءة خاطئة ل"عين كينيا" الحالية والتي تقع في نفس الموقع. وبالنسبة لقرية دير بن شعبان فعلى ما يظهر أنها اندثرت لأنه لا يوجد اليوم أي موقع قريب من عين قينية يحمل هذا الاسم أو أي اسم شبيه به. وفيما يتعلق بقرية "دير أبو مشعل" الحالية التي يشبه اسمها بعض الشبه اسم دير بن شعبان فلا يعقل أن تكون هي القرية المقصودة لأنها بعيدة نسبيا عن قرية عين قينية ولا يوجد حدود مشتركة بين القريتين. (سليمان أبو سته. طريق العودة: دليل المدن والقرى المهجرة والحالية والأماكن المقدسة في فلسطين. لندن: هيئة أرض فلسطين، 2007. ص 87، 88، 96).

كما ذكرت قرية عين قينية في كتاب حوثيروث وكمال عبد الفتاح اللذين ذكرا جميع قرى ومدن فلسطين التي دفعت ضرائب للسلطات العثمانية عام 1005 هـ 1596 م. فدفاتر الضرائب العثمانية من هذه السنة ذكرت قرية عين قينية وانها كانت ما زالت تابعة لناحية القدس. وتبين من هذه الدفاتر أن القرى التي كانت تحيط بها هي القرى التالية: من جهة الجنوب عين عريك وبيت أونيه (بيتونيا) ومن جهة الشرق رام الله والبيرة وصردا ومن جهة الشمال بيت زكارية وقلبية (أي المزرعة القبلية) ومن جهة الغرب بيت ... (خربة غير واضح اسمها ولكن موقعها في نفس موقع رأس كركر الحالية) ودير ابزيع.

Wolf-Dieter Hutteroth and Kamal Abdulfattah. **Historical geography of Palestine, Transjordan and Southern Syria in the Late 16th Century.** Erlangen: Erlangen Geographische Arbeiten, Sonderband 5. 1977.

الحمامان:

أحدهما من جهة القبلة والثاني من جهة الغرب وكانا متجاورين، وقد أنشأهما الواقف في وادي الطواحين (طريق الواد حاليا). والآن يعرفان باسم حمام العين وحمام الشفا الواقعين في سوق القطانين إلى الشمال من المدرسة وقريبا منها. وكانت هناك جنيئة (حديقة) مضافة للحمامين¹⁶.

الخان

أطلق على هذا الخان اسم خان تنكز وفي بعض الأحيان أطلق عليه اسم خان أوطوزير (أو أوتوزير). يقع هذا الخان في سوق القطانين. في البداية لم يكن هذا الخان مشمولاً في وقف المدرسة التنكزية لأن إنشاءه جاء متزامناً مع إنشاء سوق القطانين الذي بناه تنكز عام 737هـ / 1336م، أي بعد إنشاء المدرسة بسبع سنوات. كثير من جدران الخان في الفترة الحالية مهتمة، وقد محيت أجزاء هامة من الكتابة الموجودة على مدخل الخان والتي ربما كانت تشير إلى إلحاق الخان بوقف المدرسة التنكزية. ولكن المصادر التاريخية والوثائق العثمانية اللاحقة لم تترك مجالاً للشك بأن الخان كان بالفعل ملحقاً بوقف المدرسة¹⁷.

¹⁶ - المغربي. ص 506

¹⁷ - كامل جميل العسلي. من آثارنا في بيت المقدس. عمان: طبع بدعم من الجامعة الأردنية، 1982. ص 63 - 73؛ يوسف. ص 318 - 319.

الموقوف عليهم (المستفيدون من الوقف)

1- الأشخاص الموقوف عليهم الوقف وأعدادهم

استفاد من الوقف عدد كبير من الأشخاص، ولكن من المستحيل التعرف على عددهم بشكل دقيق وذلك لسببين رئيسيين. أن الوقفية نفسها تحدثت بشكل تفصيلي عن الأشخاص الذين أنشئ الوقف لخدمتهم مثل طلاب الفقه وطلاب الحديث والصوفيّين والصوفيّات أو النساء المحتاجات اللاتي سكن في رباط النساء، أي المستفيدين المباشرين الذين تواجدوا في المبنى الرئيسي للوقف، ولكن الوقفية في الغالب لم تذكر الموظفين والإداريين والعمال والفلاحين والتجار الذين قاموا بالعناية بالمباني والممتلكات المختلفة التابعة للوقف. فعلى سبيل المثال انها لم تزودنا بأي معلومات عن عدد الذين اشتغلوا وأداروا ضيعة عين قينة والذين لا بد أن عددهم كان بالعشرات. كما أنها لم تذكر عدد الذين عملوا في الحمامين والخان. ولم تذكر أي معلومات عن الأشخاص الذين اهتموا بالسييل والطهارة.

بالنسبة للأشخاص المستفيدين من الوقف والذين تواجدوا في المدرسة ورباط النساء والذين زودتنا الوقفية بمعلومات تفصيلية عنهم فكان عددهم أكثر من اثنين وسبعين شخص. وكانوا موزعين على النحو التالي: في المدرسة (مدرسة الفقه) 17 شخص، وفي دار الحديث 22 شخص، وفي رباط الصوفية 16 شخص، والمقرئين والبوايين والقيمين 5 أشخاص، وفي رباط النساء 12 امرأة. الجدول التالي يوضح عدد المستفيدين وتوزيعهم على المؤسسات التي كانت تخدمهم

عدد المستفيدين الذين وجدوا في المدرسة ورباط النساء

عدد المستفيدين	ملاحظات	المستفيدون من الوقف	المؤسسة
1		المدرس	المدرسة
1		المعيد	
15	يقسمون إلى 3 مجموعات: منهيون ومتوسطون ومبتديون	15 فقيها ومتفققها	
1		الشيخ	دار الحديث
1	غير مذكور في قائمة المستفيدين ولكنه مذكور في قائمة المصروفات	قارئ الحديث	
20		محدثون	
1		الشيخ	رباط الصوفية
13	صوفيون	الصوفيون	
1	طباخ		
1	خادم		
1	مقرئ الوقف		
1	بواب الوقف		
2	قيمين على الوقف		
1		الشيخة	رباط النساء

1		قيمة وبوابة	
10		المُقيّمات	
1		قيم	الطهارة
72			المجموع

2- النظام الداخلي والشروط التي يجب أن تتوفر في المستفيدين من الوقف

المدرسة

في البداية يجب التنبيه إلى أن كلمة مدرسة في الوقت الحالي تعني مؤسسة تعليمية لتعليم الأولاد حتى جيل 18 سنة في حين أن المستوى التعليمي في المدرسة في تلك الفترة كان شبيهاً بالمستوى التعليمي في الكليات والجامعات الحديثة.

كانت المدرسة التنكزية تدرس الفقه على المذهب الحنفي.

المدرس: كان على المدرس أن يكون حافظاً للقرآن، عالماً بمذهب أبي حنيفة، ملازماً لذكر الدرس بهذه المدرسة، وأن يكون إماماً في الصلوات الخمس بالمسجد الذي هو الإيوان القبلي من المدرسة وفي صلوات التراويح في ليالي شهر رمضان، وأن يتابع سير التدريس مع الطلاب خصوصاً الطلاب المبتدئين والمتوسطين.

الفقهاء أي طلاب الفقه: كان عددهم 15، ويجب أن يكونوا من أهل الخير والدين والصلاح ويعينهم الناظر، وكانوا يوزعون على ثلاث

مستويات علمية: مبتدئون ومتوسطون وخريجون. وكان يفرض عليهم النظام المدرسي الداخلي، أي أنه كان يفرض عليهم البقاء في المدرسة ليلاً ونهاراً. وكان يشترط عليهم حفظ كتاب في المذهب الحنفي خلال أربع سنوات وإذا لم يتمكن الطالب من ذلك فيستبدله الناظر بطالب آخر، وهذا الأمر يعني أن سنوات الدراسة في المدرسة كانت أكثر من أربع سنوات. وكان يتوقع من الناظر أن يُفَضِّل الغرباء على الطلاب المقدسين وأن يفضل الأعزب على المتزوج. وتوجب على كل واحد منهم أن يقرأ جزءاً من 30 جزء من القرآن في الربعة الشريفة وأن يختموا قراءتهم بقراءة سورة الاخلاص والمعوذتين والفاحة وأوائل السورة التي تذكر فيها البقرة (؟)، ثم يدعو المدرس عقب ذلك للسلطان الملك الناصر وللواقف أي تنكر ويستغفر الله لهم ويسأله أن يجعل ثواب ذلك في صحائف الواقف. وكانت الدروس تعقد في الإيوان القبلي من المدرسة الواقع في الطابق الأرضي.

ومن كان يتغيب منهم عن المدرسة لعذر شرعي سُمِحَ في مدة الغيبة في جامكيتة (راتبه) وجرايته، ومن كان يتغيب منهم بغير عذر شرعي نُقِصَ من جامكيتة وجرايته بقدر مدة غيابه.

دار الحديث

الشيخ: كان على الشيخ أن يكون عالي الرواية، محدثاً مشهوراً، ويرغب طلاب العلم بالدراسة عليه وأخذ الأحاديث منه. وأن يكون جيد الضبط وحسن القراءة. وعليه أيضاً أن يلتزم بتدريس الصحيحين: صحيح البخاري وصحيح مسلم، «وكلما فرغ من قراءة هذين الصحيحين في المواعيد أعاد قراءتهما».

طلاب الحديث: وعددهم 20. كان على كل واحد منهم أن يحفظ حديثاً واحداً من الأحاديث الصحيحة الثابتة كل يوم من «أيام الميعاد» (أي أيام الدراسة) وأن يعرض هذا الحديث على الشيخ بعد فراغ الميعاد.

وكان على الشيخ والقارئ والطلاب أن يجتمعوا في كل يوم بعد صلاة الظهر في الإيوان الشرقي من المدرسة وأن يقرأ كل واحد منهم ما تيسر من القرآن الكريم في الربعة الشريفة ويختمون القرآن مثلما ذكر من ختم القرآن من قبل طلاب الفقه. ثم يدعو الشيخ مثل دعاء المدرس، ثم يقرأ القارئ من أحد الصحيحين. ومن ثم يضبط القارئ حضور وغياب الطلاب. وحُكم طلاب الحديث مثل حُكم طلاب الفقه فيما يتعلق بالتغيب عن الحصص والمدرسة.

رباط الصوفية

على الصوفيين جميعاً: الشيخ والمريدين الـ15 أن يجتمعوا قبل طلوع الشمس من كل يوم في المسجد العلوي الذي على القبو، ويقرأ كل واحد منهم ما تيسر من القرآن الكريم في الربعة الشريفة ثم يجتمعون للقراءة، ثم يذكرون الله ويختمون الذكر بالصلاة على النبي محمد عشر مرات ويقولون «اللهم صلي على سيدنا محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وعلى آل محمد وأزواجه وذريته كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين انك حميد مجيد وسلم، ورضي الله عن أصحاب رسول الله أجمعين». بعد ذلك يدعو الشيخ كدعاء المدرس ثم يقرأ واحد منهم ما تيسر من رسالة

الامام القشيري. ويفعلون مثل ذلك بعد صلاة العصر. وعليهم المبيت بالمدرسة على جاري العادة مثلهم في ذلك مثل طلاب الفقه وطلاب الحديث.

وعلى الناظر أن يعين مقرئاً وقيّمين وبواب. وعلى المقرئ أن يقرأ ربع جزء من 30 جزء من القرآن الكريم بالايوان الشرقي من المدرسة عند الشباك المطل على الحرم الشريف بعد صلاة الصبح في كل يوم، ثم يقرأ شيئاً من تفسير القرآن، ثم يدعو كدعاء المدرس.

القيّمان

على كل واحد منهم فرش المدرسة وفرش المسجد العلوي بالحصير والبسط وتنظيف ذلك وكنسه وإيقاد مصابيحها وطفئها وغسل بركة المدرسة وغسل طهارتها وكنسها، وأن يؤدّنا بالنوبة على باب المدرسة في الأوقات الخمسة، وصاحب النوبة يقيم الصلاة ويبلغ خلف الإمام ويتولى احضار الرتبة الشريفة الى الإيوانين المذكورين عند اجتماع الجماعة فيها من الفقهاء والمحدثين ويفرق الأجزاء على الطلاب جميعهم، وفي النهاية يجمع الأجزاء ويضعها في الصندوق المعد لذلك، ثم يرفع الرتبة الى مكانها. ثم يفعل ذلك عند اجتماع الصوفيين في المسجد العلوي¹⁸.

البواب

على بواب المدرسة ملازمتها وحفظها في الليل والنهار وفتح وغلق بابها في الأوقات المحددة لذلك.

¹⁸ - المغربي. ص 503.

رباط النساء

يجب أن لا يزيد عدد النساء في الرباط عن 12 امرأة، كلهن مسلمات دينات خيرات صالحات فقيرات كبار السن وغير متزوجات. وعليهن أن يُقمن في الرباط. يجب أن تكون إحداهن شبيخة لهن، وأخرى يجب أن تكون قيّمة وبوّابة للرباط. الشبيخة تأم بهن في الصلوات الخمس وفي صلوات التراويح. أما القيّمة البوابة فعليها أن تفرش الرباط بالحصر والبسط وأن تنظفه وتغسل طهارته وتحفظ الرباط بنفس الأسلوب الذي ذكر عن بواب المدرسة. وعليها إيقاد مصابيح الرباط وإطفائها.

نساء الرباط: على جميع نساء الرباط أن يجتمعن في أحد إيوانات الرباط بعد صلاة الصبح في كل يوم، ويقرأن سورة الاخلاص والمعوذتين والفاطحة ومن ثم يذكرن الله ويصلين على الرسول (ص) مثلما يفعل طلاب الفقه وطلاب الحديث والصوفيون، ثم تدعو الشبيخة كدعاء المدرس. وفيما يتعلق بالتغيب عن الرباط فكن يعاملن مثل معاملة طلاب الفقه والحديث والصوفيين.

عند حديث الوقفية عن نساء الرباط لم تذكرهن بأنهن صوفيات في حين أطلقت كلمة صوفي وصوفيين على الرجال الذين سكنوا في رباط الرجال الكائن في مبنى المدرسة. فهل هذا يعني بأن رباط النساء كان مجرد ملجأ للعجزة من النساء أم أنه كان فعلاً

رباطا للنساء الصوفيات؟ عند وصف واجبات الشبيخة والنساء الساكنات في رباط النساء نجد تشابها كبيرا مع واجبات الشيخ والرجال الساكنين في رباط الرجال، الأمر الذي يجعلنا نرجح بأن النساء في رباط النساء كنّ صوفيات. ومما يؤكد ذلك أيضا استخدام كلمة «ذكر الله» عند الحديث عن الرباطين. فقد ذكر عند الحديث عن رباط النساء ما يلي: «وعليهن جميعا ان يجتمعن ... وقرأن سورة الاخلاص والمعوذتين ... ثم يذكرن الله تع ويصلين على محمد (ص) ...». وعند الحديث عن رباط الرجال ذكر ما يلي: «ويجتمعون للقراءة ... ثم يذكرون الله تع ويختمون الذكر بالصلوة على رسول الله (ص) ...». وعليه نرجح بأن كلمة رباط في الوقفية كانت تعني زاوية أو خانقاه للصوفيّين والصوفيات.

ميزانية الوقف

1- أوجه الدخل

لقد أوقف تنكز ثلاث مرافق تدر دخلا لصرف دخلها على المدرسة ورباط النساء والأوقاف الأخرى. وهذه المرافق هي: ضيعة عين قينية والحمامان والخان. ولكن المعلومات الواردة في الوقفية لا تذكر أي أرقام أو أي تقديرات متعلقة بحجم دخل هذه المرافق. ضيعة عين قينية: رغم أن الوقفية لا تذكر أي أرقام متعلقة بحجم دخل الضيعة إلا أنها ذكرت بعض التفاصيل المتعلقة بهذا الأمر. فقد جاء في الوقفية ما يلي: «جميع الضيعة ومزارعها المعروفة بعين قنية ... وتشتمل هذه الضيعة ومزارعها على أراضي عاطلة

وعامرة وسهل ووعر وأقاصي وأداني ومصايف ومشاتي ومروج وصير وبيادر وطواحين تدور بماء الأشتية وأشجار زيتون ونارنج وكروم عنب مختلف الأجناس وبساتين وجناين وتين وخروب وغير ذلك. ودمنة (بيوت قديمة خربة، أو مناظير) برسم سكن فلاحها وبها أعين ماء نبع سادحة (منبسطة) ومزارعها بكماها¹⁹. بكلمات أخرى فإن كل هذه القرية التي يظهر بانها كانت عامرة ومزدهرة كانت موقوفة على الوقف.

ولكي نقدر حجم دخل هذه القرية بشكل أفضل يمكن اللجوء لمصادر تاريخية أخرى غير الوقفية نفسها والتي تتحدث عن فترة لاحقة وعلى وجه الدقة عن سنة 1005هـ/1596م. فكتاب حوثيروث وكمال عبد الفتاح الذي اعتمد على دفاتر الضرائب العثمانية من هذه السنة ذكر الضرائب التي دفعتها هذه القرية والضرائب التي دفعتها جميع قرى ومدن فلسطين وشرق الأردن. وتبين من هذه الدفاتر أن جميع سكان عين قينية في تلك الفترة كانوا من المسلمين، وانها كانت قرية متوسطة الى صغيرة الحجم. وبالنسبة للضرائب التي دفعتها للسلطات العثمانية فكانت على النحو التالي: 1000«أقجة»²⁰ على محصول القمح، 560 اقجة على محصول

¹⁹ - الوقفية. ص 112 - 113

²⁰ - الأقجة: هي عملة عثمانية مصنوعة من الفضة. وبالنسبة لقيمتها فكانت تعادل راتب جندي ليوم واحد. ولمقارنة قيمة الأقجة بالنسبة للدرهم نذكر على سبيل المثال أن راتب شيخ المدرسة حسب الوقفية كان 60 درهما في الشهر ورطل من الخبز كل يوم، أي حوالي 720 درهم و- 365 رطل خبز في السنة. وفي بداية الفترة العثمانية كان راتبه السنوي 720 أقجة و60 رطل خبز فقط (المغربي. ص 498). نستنتج من

الشعير، 840 على محاصيل الكروم والاشجار والمحاصيل الصيفية، 1800 على محصول الزيتون، 360 على المواشي. وكان مجموع الضرائب التي دفعتها هذه القرية للسلطات في تلك السنة 4760 اقجة. أما نسبة الضرائب التي كانت مفروضة على منتوج القرية فكانت الثلث، أي أن جميع دخلها كان 14280 اقجة.

ومما يساعدنا أكثر على تقدير حجم دخل الضيعة، إجراء مقارنة بين ما دفعته هذه القرية من ضرائب للدولة العثمانية مع ما دفعته القرى المحيطة بها. ولكن قبل مقارنة الدخل لا بد من التنويه إلى أن نفس المصدر يشير الى أنها كانت قرية قليلة السكان مقارنة بعدد سكان القرى المحيطة بها. فقد ذكر أعلاه أن مجموع ما دفعته عين قينية من الضرائب كان 4760«اقجة»، وقد أظهر نفس المصدر أن قرية «عين عريك» دفعت 4300 اقجة، و«بيت أونيه» (بيتونيا) دفعت 23000 اقجة (قمح 12500 وزيتون 7400)، ورام الله دفعت 9400، و«البيرة» دفعت 4570، و«صردا» دفعت 1660، و«بيت زكارية» دفعت 3465، و«قبلية» دفعت 2190، و«بيت ...» دفعت 5200، و«دير ابزيع» دفعت 3290 اقجة²¹. وقياسا على هذه المعلومات يمكننا القول بأن ضيعة عين قينية عندما تم وقفها من قبل تنكز كانت قرية صغيرة نسبيا وان دخلها كان متوسط الحجم.

هذا أن قيمة الأقجة كانت أقل من قيمة الدرهم بقليل، وربما كانت حوالي ثلاثة أرباع الدرهم.

²¹ -Hutteroth pp. 112 - 121

ومن اللافت للانتباه أن تنكز أوقف جميع القرية على أوقافه في القدس في حين أن دفاتر الضرائب العثمانية أشارت إلى أن ثلثها فقط (أي 8 قراريط من أصل 24 قيراط) كان وقفا سنة 1596/1005. أما الثلثين الآخرين فكانا يدفعان لصاحب «الزعامة» أو صاحب «التيمار». والسؤال الذي يطرح نفسه هنا متى حُلّ الوقف وأُعطي ثلثي ناتج القرية لصاحب الزعامة أو صاحب التيمار؟.

الحمامان: لا تذكر الوقفية أي معلومات مباشرة أو غير مباشرة عن دخل الحمامين، لكن لا بد أن دخلهما كان جيدا لأنهما وجدا في موقع ممتاز من مدينة القدس ولأن المدينة كانت في تلك الفترة عامرة بالسكان وكانت تستقبل أعدادا غفيرة من السياح والحجاج المسلمين والنصارى واليهود. ويذكر المغربي أن سجلات المحكمة الشرعية أشارت إلى أن حمام العين لوحده كان يؤجر في عام 1564/945 بحوالي 7.5 اقجة في اليوم (أي أكثر من 2700 اقجة في السنة)²².

الخان: لقد ذكر سابقا أن الخان لم يذكر في الوقفية الرئيسية وإنما أضيف لوقف التنكزية في فترة لاحقة. وعلى ما يظهر أن السبب الرئيسي لذلك أن دخل ضيعة عين قينية والحمامين لم يكن كافيا لتغطية مصاريف الوقف. وكما هو حال الحمامين فإن المصادر والوثائق لا تذكر أي أرقام متعلقة بدخل الخان ولكن المصادر التاريخية تذكره بأنه كان عامرا ومزدهرا. إننا نعتقد بأن دخله كان كبيرا ليس فقط لأن عدد سكان مدينة القدس وزوارها كان كبيرا

²² - المغربي. ص 506

وإنما أيضا لأن التجارة قد توسعت في المدينة بشكل كبير خصوصا بعد أن جعلها السلطان المملوكي الأشرف شعبان بن حسين عاصمة نيابة عام 777هـ / 1375م²³.

سوق القطانين: على ما يظهر أن مدخولات الوقف قد تغيرت مع مرور الزمن لأن سجلات المحكمة الشرعية من السنين 1525 - 1532م تشير إلى أن كل الحوانيت السفلى في الصف القبلي (الجنوبي) من سوق القطانين وعددها عشرة وحانوتين أخريين في نفس السوق بجوار حمام الشفا وحكر ومخازن في القدس وحكر خان أولاد نسبية كلها كانت وقف للمدرسة التنكزية. وتغير هذا الوضع بعد أربع سنين حيث أصبحت السجلات تتحدث عن 26 دكانا في القدس و 21 دكانا في غزة والتي كانت وقفا على المدرسة المذكورة.

أوقاف في حمص وحلب: أشارت وثائق الحرم القدسي المملوكية إلى وجود أوقاف في حمص وفي حلب تابعة للمدرسة التنكزية. وقد بلغ انتاج هذه الأوقاف في سنة 775/ 1373 مبلغ 2914 درهما فضيا²⁴.

2- أوجه الصرف

يمكن تقسيم المصروفات إلى مصروفات عامة وأخرى خاصة دورية ومحددة القيمة.

²³ - خليل عثمانة. فلسطين في العهدين الأيوبي والمملوكي (1187 - 1516).

بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2006. ص 325

²⁴ - المغربي. ص 506 - 507

المصروفات العامة: يمكن تقسيم المصروفات العامة إلى قسمين: مصروفات عامة غير محددة القيمة وهي متعلقة بعمارة الوقف ومصروفات عامة دورية ومحددة القيمة.

المصروفات العامة المخصصة لعمارة الوقف: لقد خصصت هذه المصروفات لإنجاز الأمور التالية:

1- عمارة أراضي ضيعة عين قينية: ويعني ذلك العناية بالأرض وزراعتها وتوفير البذور والاعتناء بالحيوانات التي كانت تربي بها وشراء الأدوات المستخدمة في الزراعة وصيانة أبنيتها وإنشاء أبنية جديدة ونقل البضائع للمخازن والأسواق ودفع رواتب للعمال والفلاحين وما إلى ذلك من أعمال مهمة وأساسية. ونستنتج من قائمة المهام المذكورة هنا أن المصروفات التي خصصت لهذا البند لم تكن ثابتة بل كانت تتغير من سنة إلى أخرى وذلك حسب الحاجة. وهنا لا بد من الإشارة إلى أن الواقف والقائمين على الوقف كانوا يفضلون تضمين الوقف لضامين عن طريق المزارعة وغيرها من أساليب التعاقد المتعلقة بالزراعة وذلك لأن هذا الأسلوب كان يوفر عليهم عناء المتابعة والمسؤولية. ولكن القائمين على الوقف لم يوفقوا دائما بالتعاقد مع الضامين والمزارعين وعليه كانوا يضطرون في بعض الأحيان إلى عمارة الضيعة بشكل مباشر.

2- إدارة وصيانة المباني والمرافق التابعة للوقف والموجودة في القدس: بالنسبة لإدارة هذه المباني فكان بإمكان القائمين على الوقف تقدير حاجتها من المصروفات، أما المصروفات المتعلقة بصيانة المباني فإنه لم يكن بالإمكان تقديرها بشكل مسبق لأن

الحاجة للصيانة كانت تتغير من سنة لأخرى، ففي حين لا تكون هناك حاجة لأي أعمال ترميم وصيانة في بعض السنين، تكون هناك حاجة كبيرة جدا في سنوات أخرى.

3- فرش جميع المباني التابعة للوقف بالحصر وغيرها من المستلزمات: رغم أن المصروفات التي خصصت لهذا البند كانت صغيرة نسبيا إلا أنها كانت تتفاوت من سنة إلى أخرى.

لقد أولى الواقف موضوع عمارة الوقف (أي البندين الأولين من البنود الثلاثة المذكورة أعلاه) أهمية خاصة حيث ذكر بأن الأولية في المصروفات هي عمارة الوقف، وفي حال زادت أموال الوقف عن عمارة الوقف تصرف الأموال الفائضة في أوجه الصرف الأخرى.

المصروفات العامة الدورية والمحددة القيمة: لقد ذكرت الوقفية الأمور التالية والتي يمكن أن تندرج تحت هذا العنوان:

1- شمع ونجور بقيمة 50 درهم في السنة لاستخدامها في صلاة التراويح.

2- شمع حسب الحاجة للإضاءة عند قراءة القرآن بعد صلاة الصبح كل يوم.

3- رأسين من البقر وكبشين «مليحين» من الغنم في عيد الأضحى كأضاحي. ويفرق اللحم على أهل الوقف وعلى غيرهم من فقراء المسلمين.

4- حلوى للمحدثين وغيرهم عند ختم قراءة كل واحد من صحيح البخاري ومسلم بقيمة 100 درهم.

المصروفات الخاصة الدورية والمحددة القيمة: المقصود بالمصروفات الخاصة هو الجرايات النقدية والغذائية التي كانت تعطى للمستفيدين من الوقف. وقد فصلت الوقفية هذه الجرايات بشكل لافت للانتباه رغم أن الأولوية في صرف أموال الوقف كانت للإعمار وليس للجرايات، ولكن على ما يظهر ان أموال الوقف كانت كبيرة لدرجة انها كانت كافية لقطاعي الإعمار والجرايات. الجدول التالي يلخص ما جاء بالوقفية بشأن كيفية توزيع الجرايات على مستحقيها.

توزيع الجرايات النقدية والغذائية على مستحقيها

المجموع		خبز يوميا بالرطل أو أمور عينية أخرى	دراهم في الشهر	الجهة المستفيدة	المؤسسة
أرطال خبز يوميا	دراهم شهريا				المدرسة
1	60	رطل خبز	60	المدرس	
0.66	30	ثلثي رطل	30	المعيد	
3.5	140	نصف رطل	20 لكل طالب	الفقهاء المنتھين (؟7)	
3.5	105	نصف رطل	15 لكل طالب	الفقهاء المتوسطين (؟7)	
3	60	نصف رطل	10 لكل طالب	الفقهاء المبتدئين (؟6)	

0.5	20	نصف رطل	20	بواب المدرسة	
10	40	نصف رطل	20	قيّم المدرسة (2)	
					دار الحديث
1	40	رطل خبز	40	شيخ المحدثين	
0.5	20	نصف رطل	20	قارئ الحديث	
10	150	نصف رطل	7.5	طالب الحديث (20)	
					رباط الصوفية
ثلث زيت ؟ ثلث صابون ؟ رطل خبز	60	ثلث رطل زيت زيتون وثلث رطل صابون. ورطل خبز يوميا	60	شيخ الصوفية	
2.2 زيت ؟ 2.2 صابون ؟ 6.5 خبز	130	سدس رطل زيت زيتون وسدس رطل صابون. ونصف	10	الصوفي الواحد (13)	

		رطل خبز يوميا		
0.16 زيت ؟ 0.16 صابون ن ؟ 0.5 خبز	15	سدس رطل زيت زيتون وسدس رطل صابون. ونصف رطل خبز يوميا	5 دراهم زيادة أي 15 درهم في الشهر	الخدام
0.16 زيت ؟ 0.16 صابون ن ؟ 0.5 خبز	15	سدس رطل زيت زيتون وسدس رطل صابون. ونصف رطل خبز يوميا	5 دراهم زيادة أي 15 درهم في الشهر	الطباخ
		نصف رطل خبز يوميا للشخص.	نصف درهم يوميا للشخص	الصوفيون الضيوف
		5 دراهم للصوفيين الواردين (الضيوف) عند سفرهم		
		يطبخ في كل يوم لحم الضان. ويكون نصيب كل واحد من المقيمين والواردين أوقية (قبل الطبخ)		
		وتعمل لهم حلوى في ليالي الجمع على عادة الصوفية. لكل شخص		

		أوقية			
		ويعمل لهم طعام وحلوى في المواسم والأعياد حسب ما يراه الناظر			
		لشيخ الصوفية من ذلك جميعه نصيبان			
0.5 خبز	20	نصف رطل	20	شبيخة الرباط	رباط النساء
0.5 خبز	10	نصف رطل	10	القيّمة البوابة	
0.3 خبز	75	ثلث رطل	7.5	كل واحدة من المقيّمات (10)	
		ثلث رطل	ربع درهم يومياً	الفقيرات الواردات (الضيفات)	
0.5 خبز	15	نصف رطل	15	قارئ القرآن الذي يقرأ بعد صلاة الصبح	
0.5 خبز	10	نصف رطل	10	قيم الطهارة	الطهارة
44.5 رطل خبز + زيت + صابون + مخصصات الضيوف	1015	المجموع			
16228	12180	المجموع السنوي			

ملاحظات: الدراهم²⁵ المذكورة في الوقفية هي الدراهم الفضية التي كان معمولا بها آنذاك، والرطل²⁶ هو الرطل القدسي ، والأوقية: هي الأوقية القدسية

²⁵ - الدرهم: لكي نقدر بشكل جيد قيمة مدخولات الوقف ومصرفاته والجرايات والأعطيات التي أعطيت للمستفيدين من الوقف يتحتم علينا معرفة القوة الشرائية للدرهم وأسعار القمح والخبز. في الواقع من الصعب جدا تحديد القوة الشرائية للدرهم بشكل دقيق ومقارنته بالدينار الإسلامي وبالأقجة العثمانية لأن المصادر التاريخية لا تذكر أسعار السلع إلا عندما تكون هناك مجاعات والأسعار تكون مرتفعة جدا، أو عندما يكون هناك رخاء وأسعار السلع تكون متدنية جدا. وما يزيد من صعوبة معرفة قيمة النقود أن الأوزان والأحجام التي كانت مستخدمة كانت تختلف من مدينة إلى أخرى حتى ولو كانت تلك المدن تقع في نفس الإقليم الواحد. وما يزيد من تعقيد الأمور أن الأسعار كانت تختلف من فترة إلى أخرى. ولكن هناك بعض الباحثين الذين اهتموا في هذا الجانب وتوصلوا إلى نتائج ربما تكون مقبولة. ومن هذه النتائج أن الدينار في فترة الرسول (ص) كان يساوي 10 دراهم، ومنذ فترة عمر بن الخطاب أصبح يساوي 12 درهم وبقي على هذه الحال لعدة قرون. أما خلال الفترات التي أعقبت الفترة الفاطمية فأصبحت قيمة الدرهم تتغير بشكل كبير جدا حتى أنه في بعض الحالات وصلت قيمة الدينار 50 درهم وأكثر. لقد قدر أحد الباحثين قيمة الدرهم في القرن الأول من الفترة المملوكية، أي الفترة التي تهمنا، بأنه كان يساوي واحد على عشرين من الدينار. وقال أيضا بأن الدينار أصبح في فترات لاحقة من الفترة المملوكية يساوي خمس وعشرين درهم ومن ثم ارتفع ليصل إلى ثلاثين درهم وأكثر. وقد قدر نفس الباحث سعر 100 كيلوغرام من القمح بحوالي دينار واحد، أو 20 درهم في عام 1340م (E. Ashtor. A social and economic History of the Near East in the Middle Ages. Berkeley – Los Angeles: University of California Press, 1976. pp. 292-295, 305). وقد قدرت أنا شخصيا في بحث لي بأن الراتب الشهري للعامل البسيط في مصر في الفترة الفاطمية كان حوالي دينار واحد، ووجدت أيضا أنه كان في نفس الفترة الزمنية بالإمكان

الجهاز الإداري للوقف

الناظر: الناظر هو المسؤول العام عن كل الوقف بأجزائه المختلفة. وهو الذي يعين كل المستفيدين من الوقف وهو الذي يعين المعماري (أي المهندس) والجابي والكاتب والعمال وغيرهم. وهو الذي يقبل الطلاب والمريدين الصوفيين والصوفيات. وكان مسؤولاً عن حسن استخدام الوقف ومدخولاته ومصروفاته. وكان عليه أن يهتم بترميم المباني وتزويدها بما يلزمها من فرش وشمع وطيب وبخور، وهو الذي يشتري الحلوى والطعام واللحم للمستفيدين من الوقف. وكان أيضاً مسؤولاً عن توزيع المال والطعام على المستفيدين من الوقف على النحو الذي ذكر في فصل «ميزانية الوقف».

وكان على الناظر أن يستغل الضيعة وأراضيها بالمزارعة والمفالحة والمعاملة بالطريقة الفضلى والأصلح للوقف. وكان عليه شراء ما يلزم لفلاحة الأرض وتربية المواشي، مثل شراء الأبقار

شراء خروف متوسط الحجم إلى صغير الحجم بدينار واحد (Muhsin D.Yusuf. Economic Survey of Syria during the Tenth and Eleventh Centuries, Berlin: Klaus Schwarz Verlag, 1985. pp. 150 – 158, 175) وعلى هذا

الأساس فبإمكاننا أن نستنتج أن الجرايات النقدية والعينية التي كانت تعطي للمستفيدين من الوقف كانت متوسطة ومقبولة، وكان بإمكان المستفيدين من الوقف أن يعيشوا حياة كريمة حتى لو لم يكن لهم دخل آخر.

²⁶ - الرطل: الرطل القدسي كان 2.5 كيلوغرام، في حين كان رطل دمشق أقل من 2 كيلوغرام، والرطل المصري كان أقل من نصف كيلوغرام (Yusuf. p, 230)

والدواب والأدوات الزراعية والبذور. وقد ذكرت الوقفية أنه لا يجوز للناظر أن يؤجر الضيعة وأراضيها أو شيء منها في عقد واحد لأكثر من سنتين، وأن لا يجدد العقد إلا بعد انتهاء العقد السابق. كما أنه لا يجوز له أن يؤجر الحمامين لأكثر من سنة واحدة في العقد الواحد.

الناظر الأول لهذا الوقف كان الواقف نفسه أي الأمير تنكر وذلك لمدى حياته، ومن بعده تنتقل النظارة للأرشد من بين أولاده وأولاد أولاده وذريته. وإذا انقطع عقبه تنتقل النظارة للأرشد الأسن من عتقاء الواقف. وإذا انقطع عقب الطرفين المذكورين تنتقل نظارة الوقف لناظر الحرمين الشريفين بالقدس والخليل بمشاركة حاكم القدس.

المعماري: هو المهندس الذي يشرف على الأبنية وترميمها. الجابي: هو الموظف المسؤول عن تحصيل الأموال المتأتية من الحمامين ومن الضيعة وهو الشخص الذي يشرف على كيفية استغلال هذه المستغلات.

الكاتب: وهو المسؤول عن تسجيل وتوثيق كل الأمور المتعلقة بالوقف بأجزائه المختلفة²⁷.

نماذج على معلومات أخرى مهمه ذكرت في الوقفية

يتضح مما ذكر في هذا البحث أعلاه أن الوقفيات تحتوي على كم هائل من المعلومات التاريخية، وفي كثير من الحالات لا نجد

²⁷ - المغربي. ص 502 - 505

نوعية هذه المعلومات المذكورة في مصادر تاريخية أخرى. ورغم أن البحث الحالي قد اعتمد بشكل كبير جدا على ما ورد من معلومات في وقفية المدرسة التنكزية إلا أن هذه الوقفية ما زالت تحتوي على كم كبير جدا من المعلومات التي لم يتم استخدامها في هذا البحث. ولكي لا يطول البحث أكثر من اللازم سيتم الاكتفاء هنا بالإشارة إلى بعض هذه المعلومات.

معلومات ذات صبغة تفصيلية

الموقع الجغرافي: تحتوي الوقفية على معلومات مهمة وتفصيلية فيما يتعلق بمواقع الأبنية والمؤسسات والأراضي المفتوحة في المدينة. وهذه المعلومات مع معلومات أخرى شبيهة من وقفيات ومصادر تاريخية أخرى قادرة على مساعدتنا على رسم خارطة هيكلية ولو جزئيا لمدينة القدس في تلك الفترة. فيما يلي بعض الاقتباسات التي من شأنها أن تدلل على هذا الأمر: «المدرسة المباركة ... بمدينة القدس.. جوار الحرم الشريف على الباب المعروف بباب السلسلة وفي وسط هذه المدرسة .. بركة مثمنة. وحائط هذه المدرسة القبلي مبني على أقبا رومية ... ويتطرق الى هذه الاقبا من حارة المغاربة»، «وبها بير ... ويستقى الماء من هذا القبو من طاقة في بيت ... ملاصق لرباط النسا ... ومن الشرق سور الحرم .. ومن الشام (الشمال) الحاورة المعروفة بحاورة السقاية وفيها بابه ومن الغرب اقبا خراب». «حد هذه المدرسة .. من القبلة حارة المغاربة ومن الشرق الحرم الشريف ومن الشمال الطريق ... ومن الغرب دار تعرف بدار الحاج أيوب المصري». «الرباط بالقرب من المدرسة

المذكورة المعد لاقامة النساء ... ويغلق عليه باب خاص ومنه جميع بيوت الحمامين القبلي والغربي المتجاورين ... بوادي الطواحين (أي طريق الواد) ... الى الجنينة ... وهذه الجنينة مضافة الى هذا الحمام». «... حد هذين الحمامين .. من القبلة الطهارة ... ومن الشرق حاكورة الطهارة ومن الشمال الطريق السالك الى الحرم الشريف من باب يعرف بباب السقاية وفيه يفتح باب الحمام الغربي ... ومن الغرب الطريق السالك من وادي الطواحين الى البركة ... وفيه يفتح باب الحمام الكبير». «حدها (الطهارة) من القبلة حوض السيل ... وتام الحد الطريق وفيه بابها، ومن الشرق المصنع (صهريج ماء) المختص بالحمامين ... ومن الشمال الحمام القبلي ومن الغرب الطريق»²⁸.

وصف المسجد: تحتوي الوقفية على معلومات تفصيلية ممتازة حتى بما يتعلق بشكل ومكونات وزخارف الغرف والقاعات، لدرجة أنه بإمكاننا أن نستعمل هذه التفاصيل لتعيد بناء تلك الغرف كما كانت عليه سابقا. فيما يلي وصف للمسجد الذي كان موجودا في المدرسة في الطابق العلوي: «وسقف هذا المسجد .. خشب منجور مجري بالذهب واللازورد وجدره مرخمة بالرخام الملون وفي قبلته خشب محراب مرخم بالرخام الملون ولها عامودا رخام وشباكا حديد مطلان على الحرم الشريف لكل واحد منهما باب بمصراعين مدهون افرنجي وفي شرقيه ثلاثة شبايك حديد مطلة الى الحرم الشريف أيضا ولكل واحد منهما باب بمصراعين مدهون افرنجي. ويفتح بابه شاما وهو بمصراعين مدهون افرنجي»²⁹.

²⁸ - الوقفية. ص 109 - 112

²⁹ - الوقفية. ص 111

معلومات ذكرت بشكل عرضي

قناة العروب: لقد أشارت الوقفية إلى وجود قناة مياه باسم قناة العروب (وتعرف هذه القناة أيضا باسم قناة السيل)، حيث ذكرت: «وفي وسط هذه المدرسة.. بركة مثمرة يجري إليها الماء من قناة العروب بحق واجب معلوم من معلم مشترك ينقسم ماؤه بين جهات الحرم الشريف وبين هذه المدرسة». «من الفرع المساق من قناة العروب بحق واجب معلوم». كما أن الوقفية ذكرت «وحق هذين الحمامين من الماء من قناة تعرف بالعروب وهو حق واجب معلوم» و«إلى البركة الواصل إليها الماء من قناة العروب» و «... وبير (بئر) الواصل إليه من فايز (فائض) بركة قناة العروب»³⁰. يتضح من الكلام القليل الذي ذكر عن هذه القناة أنها تشعبت داخل المدينة في قنوات رئيسية وأخرى فرعية ووصلت مياهها لأماكن عديدة مهمة في المدينة. فكما هو معروف فإن مدينة القدس تفتقر للمياه الجارية والينابيع وعليه فإنها كانت بحاجة ماسة لجلب المياه إليها من مناطق بعيدة خصوصا عندما كان عدد سكانها كبيرا. ومنطقة العروب، التي تعتبر مصدر مياه هذه القناة تقع الى الجنوب من مدينة القدس بين مدينة الخليل ومدينة بيت لحم، وتبعد عن المدينة حوالي 15 كيلومتر هوائيا، إلا أن المنطقة الواقعة بين البلدين هي منطقة وعرة تكثر فيها الجبال والوديان السحيقة لذلك زاد طول القناة عن 60 كيلومتر.

إن أول من أنشأ قناة العروب هم الرومان، ولكن وكما هو متوقع فإن هذه القناة كانت تتعرض بين الفينة والأخرى للإهمال

³⁰ - الوثيقة. ص 109 - 110

والخراب وكانت في بعض الأحيان تبقى خربة لعشرات بل وربما مئات السنين. وقد أوضحت المصادر أن الأمير تنكز قد قام بترميمها عام 1327/728 وعادت مياهها تتدفق في قنوات المدينة. ولا بد أن عملية ترميم القناة التي استمرت حوالي نصف سنة قد كلفت الأمير مبالغ طائلة³¹.

قناة الوسخ: ذكرت الوقفية ما أسمته «قناة الوسخ»، حيث ذكرت عند الحديث عن مبنى المدرسة: «وفايض مياهه وأوساخ مرتفقاته تنصرف الى قناة الوسخ التي استجدها الواقف» وذكرت أيضا «وفايض مياه هذه الطهارة وأخبائها تنصرف إلى قناة الوسخ المذكورة بحق واجب»³². يظهر من هذا الكلام أنه كان يتخلل المدينة شبكة من المجاري لجر المياه العادمة إلى خارج المدينة. ربما يكون هذا أول ذكر لوجود مجاري للمياه العادمة في مدينة القدس، وحسب معرفتي فإن المصادر التاريخية لم تتحدث عن هذا الموضوع إلا في الفترة الحديثة.

الصليبيون: من المعروف أن الصليبيين قد احتلوا مدينة القدس عام 1099/492 وبقوا بها حتى استعادها صلاح الدين الأيوبي عام 1187/582، أي بقيت تحت الاحتلال لحوالي 90 سنة. وفي عام 1229/626 سلّم الأيوبيون المدينة للصليبيين لتبقى بيدهم 10

³¹ - ابراهيم أبو رميس. "قناة السبيل: تاريخها، وأهميتها، وواقعها". في الإنترنت في موقع جامعة القدس المفتوحة: www.qou.edu,issued18 2 ص 41 - 64.

ص 44-54؛ المغربي. ص 486.

³² - الوقفية. ص 110، 112.

سنوات أخرى، ثم عادوا وسلموها لهم مرة أخرى عام 1242/639 لتبقى بيدهم لمدة سنتين. والسؤال الذي يسأل هنا هل ذكرت الوقفية أي أثر أو آثار صليبية في المدينة؟. إن ما ذكرته الوقفية بهذا الشأن هو ما يلي: «وحايط هذه المدرسة القبلي مبنية على اقبا رومية تعرف قديما باصطبلات (اسطبلات) الداوية وهي من حقوق هذه المدرسة المذكورة ويتطرق الى هذه الاقبا من حارة المغاربة بباب خاص». ويجب التنويه إلى أن كلمة «روم» في التراث الإسلامي تعني بيزنطيين، وهؤلاء حكموا فلسطين قبل الفتح الإسلامي عام 11هـ/632م. أما كلمة «داوية» فكانت اسم لتنظيم عسكري صليبي تأسس عام 1118/512، وقد عرف هذا التنظيم أيضا باسم «فرسان الهيكل». والغريب في الأمر ان المسلمين وعلى وجه الخصوص العلماء المسلمين الذين كتبوا الوقفية أصبحوا لا يفرقون بين البيزنطيين والصليبيين رغم أنه لم يمر قرن واحد على طرد الصليبيين من القدس ولم يمر إلا حوالي 40 سنة على طردهم من مدينة عكا.

إضافة إلى ذلك فإن الوقفية ذكرت «دهان» (طلاء ؟) معين أسمته دهان إفرنجي حيث ذكرت: «... وشباكا حديد مطلان الى الحرم الشريف لكل واحد منهما باب بمصراعين مدهون افرنجي، وفي شرقيه ثلاثة شبايك حديد ... ولكل واحد منهما (منها) باب بمصراعين مدهون إفرنجي»³³. في الأساس كلمة إفرنجي هي تحريف

³³ - الوقفية. ص. 111.

لكلمة فرنسي أو فرنكي، ولكن المصادر العربية الإسلامية غالبا ما استخدمت هذه الكلمة لتعني صليبيين، كما أنها استخدمتها لتعني أوروبيين غربيين. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: ما هو المقصود بكلمات «مدهون أفرنجي»؟ هل هو طلاء إفرنجي (صليبي أوروبي) أم هو أسلوب معين في الطلاء كان الصليبيون يستخدمونه ومن ثم اقتبسه العرب والمسلمون عنهم. وما هو نوع ولون هذا الطلاء أو ما هي مميزات أسلوب الطلاء الإفرنجي وبماذا يختلف عن الطلاء أو أسلوب الطلاء الذي كان العرب يستخدمونه؟ في الواقع إن الوقفية في هذا المجال أثارت لدينا أسئلة عديدة ولكنها لم تساعدنا على إيجاد إجابات عليها.

الخاتمة

لقد زودتنا الوقفية بمعلومات تفصيلية كثيرة جدا في مجالات تاريخية عديدة وعلى وجه الخصوص في مجالات التاريخ المعماري وتاريخ المدن والتاريخ الجغرافي والتاريخ الاقتصادي والتاريخ الديني والتاريخ الاجتماعي وفي مجال فقه اللغة العربية. وخلافا للمصادر التاريخية الأخرى فقد جاءت هذه المعلومات دقيقة ولم تتأثر بمشاعر وتحيز كاتبها لأنها معلومات وصفية مجردة، تصف واقع الوقف في تلك الفترة. ولا بد من الإشارة أيضا إلى أن نوعية المعلومات المذكورة في هذه الوقفية، كما هو الحال في الوقفيات الأخرى، نادرا ما نجدها في مصادر تاريخية أخرى الأمر الذي يجعلها عظيمة الأهمية بالنسبة للمؤرخين.

لقد ذكرت الوقفية المؤسسات والمرافق التي اشتمل عليها الوقف وحددت حدودها وذكرت الممتلكات المحيطة بها بشكل دقيق، الأمر الذي يساعدنا على رسم خارطة هيكلية تاريخية لمدينة القدس وخارطة تاريخية جغرافية أخرى لمنطقة غرب رام الله. وزودتنا بمعلومات تفصيلية متعلقة بالجانب المعماري الهندسي وبمعلومات متعلقة بمواد البناء وبالجانب الفني والزخرفي لغرف وقاعات مرافق الوقف المختلفة لدرجة أنه أصبح بإمكاننا أن نعيد بناء تلك المباني على شاكلتها الأصلية.

المعلومات المتوفرة في الوقفية عن ضيعة عين قينية زودتنا بمعلومات جغرافية وأخرى متعلقة بالنشاط الاقتصادي البشري للفلاحين في تلك الفترة، ووضحت الأساليب المختلفة التي كانت متبعة والمتعلقة بتأجير وتضمين الأراضي. كما ذكرت أسماء القرى التي كانت محاذية لهذه الضيعة وتبين بأن معظمها، إن لم يكن كلها، ما زالت موجودة حتى اليوم، وهي معلومات تفيدنا بشكل كبير جدا لمعرفة مدى استمرار الاستيطان البشري الفلسطيني في المنطقة.

عند الحديث عن المدرسة، بينت لنا الوقفية أن المنهاج الدراسي الذي خصص لطلاب قسم الفقه وقسم الحديث قد أعد بشكل دقيق، وبالكاد ترك أي فسحة للشيخ والطلاب لتدريس أو دراسة أي مواد أخرى يرغب الشيخ أو الطلاب بتدريسها أو دراستها. ونستنتج أيضا أن الدراسة كانت تعتمد في الأساس على التكرار والحفظ عن ظهر قلب وليس على التحليل والنقد. وتبين أن المنهاج

يُثمن عالما الانتاج الفكري للسلف أمثال الفقيه أبو حنيفة والمحدثين البخاري ومسلم، ولا يترك مجالاً لإبداع المدرسين والطلاب. في مجال فقه اللغة تتطرق الوقفية لعدد من الأمور المهمة. فالوقفية استعملت كلمة «رباط» لتشير الى المكان الذي يعيش به الصوفيون ولم تستخدم كلمات أخرى كانت مستخدمة في فلسطين وبلاد الشام آنذاك مثل «الزاوية» و«الخانقاه». ربما يكون السبب لذلك أن الوقفية تعتبر أن المكان الذي كان معداً لسكن الصوفيين هو رباط في حين أن كلمات زاوية وخانقاه كانتا تشيران إلى المكان الذي كان يجتمع به الصوفيون بغرض العبادة وليس بغرض السكن. وكلمة «بيت» في الوقفية جاءت مرادفة لكلمة غرفة في استخدامنا الحالي. وكلمة «قناة الوسخ» في الوقفية تعني بلغتنا الحديثة المجاري العامة. حيث ذكر عنها انها كانت تستخدم لتصريف «فايض المياه وأوساخ المرتفقات». ومن اللافت، أن الوقفية استبدلت في حالات كثيرة حرف الهمزة بحرف الياء مثل: بير بدل بئر، وفايض بدل فائض، وقاري بدل قارئ.

وورد في الوقفية معلومات عديدة تسترعي الانتباه لأنها مستغربة بعض الشيء. وكمثال على ذلك نذكر أن الوقفية عندما تحدثت عن جريات الصوفيين ذكرت بأنها احتوت على كميات من الزيت والصابون إلى جانب الخبز، في حين اقتصرت جريات الآخرين، وبضمنهم نساء رباط النساء، على الخبز فقط. فما هي علاقة الزيت والصابون بالتصوف؟

المصادر

- *أبو رميس، إبراهيم. «قناة السيل: تاريخها، وأهميتها، وواقعها». في الإنترنت في موقع جامعة القدس المفتوحة www.qou.edu.issued18_2، ص 41 - 64
- *أبو ستة، سليمان. طريق العودة: دليل المدن والقرى المهجرة والحالية والأماكن المقدسة في فلسطين. لندن: هيئة أرض فلسطين. 2007
- *إسماعيل، اكتمال. «الأوقاف التنكزية في دمشق». في كتاب: الأوقاف في بلاد الشام منذ الفتح العربي الاسلامي إلى نهاية القرن العشرين. تحرير محمد عدنان البخيت. عمان: المؤتمر الدولي السابع لتاريخ بلاد الشام 17-21 شعبان 1427 / 10-14/9/2006. المجلد الثاني / القسم الأول «سورية»، 2009.
- *عبد المهدي، عبد الجليل حسن. المدارس في بيت المقدس في العصرين الأيوبي والمملوكي: دورها في الحركة الفكرية. عمان: مكتبة الأقصى. الجزء الثاني ص 31 - 41، 1981.
- *عثمانه، خليل. فلسطين في العهدين الأيوبي والمملوكي (1187 - 1516). بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2006.
- *العسلي، كامل جميل. من آثارنا في بيت المقدس. عمان: طبع بدعم من الجامعة الأردنية، 1082.
- *العسلي، كامل جميل. وثائق مقدسية تاريخية. عمان: مطبعة التوفيق. المجلد الأول، 1983.
- *علي، علي السيد. «كلية تنكر المقدسية في العصر المملوكي 648 - 923/1250-1517» مجلة التريية، الدوحة. عدد 176 السنة 40 سبتمبر 2011. ص 223 - 246.

*المغربي، عبد الرحمن. «تاريخ المدرسة التنكزية في القدس 729-1432هـ/ 1328-2011م». مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الانسانية. المجلد 20، العدد 2، سنة 2012. ص 481-528.

*يوسف، حمد أحمد عبدالله. من آثارنا العربية والإسلامية في بيت المقدس. بيت المقدس: مؤسسة إحياء التراث والبحوث الإسلامية، 2000. الجزء الثاني.

- Ashtor, E.. **A Social and Economic History of the Near East in the Middle Ages**. Berkeley - Los Angeles: University of California Press, 1976.
- Burgoyne, Michael Hamilton. **Mamluk Jerusalem: An Architectural Study**. Great Britain: British School of Archaeology in Jerusalem, 1987.
- Hutteroth, Wolf-Dieter and Kamal Abdulfattah. **Historical Geography of Palestine, Transjordan and Southern Syria in the Late 16th Century**. Erlangen: Erlangen Geographische Arbeiten, Sonderband 5, 1977.
- Yusuf, Muhsin D.. **Economic Survey of Syria during the Tenth and Eleventh Centuries**. Berlin: Klaus Schwarz Verlag, 1985.